@ 268 @ ثبوت علمه ، وهو هذه المخلوقات ، وما اشتملت عليه ، من النظام التام ، والخلق الباهر . فإن في ذلك ، دلالة على سعة علم الخالق ، وكمال حكمته ، كما قال تعالى 2 ! : 2 ! وكما قال تعالى : ! 2 2 ! ذلكم الذي ، خلق ما خلق ، وقدر ما قدر . ! 2 2 ! أي : المألوه المعبود ، الذي يستحق نهاية الذل له ، ونهاية الحب . الرب ، الذي ربى جميع الخلق بالنعم ، وصرف عنهم صنوف النقم . ^ (لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ^ أي : إذا استقر وثبت ، أنه ا الذي لا إله إلا هو ، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة ، وأخلصوها ، واقصدوا بها وجهه . فإن هذا هو المقصود من الخلق ، الذين خلقوا لأجله ! 2 2 ! . ^ (وهو على كل شيء وكيل) ^ أي : جميع الأشياء ، تحت وكالة ا وتدبيره ، خلقا ، وتدبيرا ، وتصريفا . ومن المعلوم ، أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته ، وتمامه ، وكمال انتظامه ، بحسب حال الوكيل عليه . ووكالته تعالى على الأشياء ، ليست من جنس وكالة الخلق ، فإن وكالتهم ، وكالة نيابة ، والوكيل فيها ، تابع لموكله . وأما الباري ، تبارك وتعالى ، فوكالته من نفسه لنفسه ، متضمنة لكمال العلم ، وحسن التدبير والإحسان فيه ، والعدل . فلا يمكن أحدا ، أن يستدرك على ا ، ولا يرى في خلقه خللا ، ولا فطورا ، ولا في تدبيره ، نقصا وعيبا . ومن وكالته : أنه تعالى ، توكل ببيان دينه ، وحفظه عن المزيلات والمغيرات ، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم . ! 22 ! لعظمته ، وجلاله وكماله . أي : لا تحيط به الأبصار ، وإن كانت تراه في الآخرة ، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم . فنفي الإدراك ، لا ينفي الرؤية ، بل يثبتها بالمفهوم . فإنه إذا نفى الإدراك ، الذي هو أخص أوصاف الرؤية ، دل على أن الرؤية ثابتة . فإنه لو أراد نفي الرؤية ، لقال : (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك . فعلم أنه ليس في الآية ، حجة لمذهب المعطلة ، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة . بل فيها ما يدل على نقيض قولهم . ! 2! 2 أي : هو الذي أحاط علمه ، بالظواهر والبواطن ، وسمعه ، بجميع الأصوات الظاهرة والخفية ، وبصره بجميع المبصرات ، صغارها ، وكبارها ، ولهذا قال : ! 2 2 ! الذي لطف علمه وخبرته ، ودق ، حتى أدرك السرائر والخفايا ، والخبايا ، والبواطن . ومن لطفه ، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه ، ويوصلها إليه بالطرق ، التي لا يشعر بها العبد ، ولا يسعى فيها . ويوصله إلى السعادة الأبدية ، والفلاح السرمدي ، من حيث لا يحتسب . حتى إنه يقدر عليه الأمور ، التي يكرهها العبد ، ويتألم منها ، ويدعو ا أن يزيلها ، لعلمه أن دينه أصلح ، وأن كماله متوقف عليها . فسبحان اللطيف لما يشاء ، الرحيم بالمؤمنين . ! 2 2 ! . لما

بين تعالى من الآيات البينات ، والأدلة الواضحات ، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد ، نبه العباد عليها ، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم ، فقال : ! 2 2 ! أي : آيات ، تبين الحق ، وتجعله للقلب ، بمنزلة الشمس للأبصار ، لما اشتملت عليه ، من فصاحة اللفظ ، وبيانه ، ووضوحه ، ومطابقته للمعاني الجليلة ، والحقائق الجميلة ، لأنها صادرة من الرب ، الذي ربى خلقه ، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة ، التي من أفضلها وأجلها ، تبيين الآيات ، وتوضيح المشكلات . ! 2 2 ! بتلك الآيات ، مواقع العبرة ، وعمل بمقتضاها ! 2 2 ! فإن ا هو الغني الحميد . ! 2 2 ! بأن بصر ، فلم يتبصر ، وزجر ، فلم ينزجر ، وبين له الحق ، فما انقاد له ولا تواضع ، فإنما مضرة عماه عليه . ! 2 2 ! أيها الرسول 2 ! 2 ! أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام ، إنما علي البلاغ المبين ، وقد أديته ، وبلغت ما أنزل ا إلي ، فهذه وظيفتي ، وما عدا ذلك ، فلست موظفا فيه . ^ (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون * اتبع مآ أوحي إليك من ربك لا إل ه إلا هو وأعرض عن المشركين * ولو شآء ا مآ أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا ومآ أنت عليهم بوكيل) ^ قوله تعالى : ! 2 2 ! الكاف في موضع نصب صفة للمصدر المحذوف ، أي : نصرف الآيات تصريفا ، مثل ما تلونا عليك . والتصريف معناه : التنويع . والمراد : أن ا تعالى ، ينوع الآيات الدالة على المعاني الرائعة ، الكاشفة عن الحقائق الفائقة ، لا تصريفا أدنى منه ، بل تصريفا بلغت في الروعة مبلغا ارتقى عن إدراك المخلوقين . قوله تعالى : ! 22 ! جوابه محذوف ، تقديره (ونحن نصرفها) أو نفعل ما نفعل من التصريف المذكور (معنى درست : تعلمت) . وقرأت كتب أهل الكتاب أي : قدمت هذه الآية ومضت . كما قالوا : أساطير الأولين ، تلقاها ممن مضوا من أهل الكتاب من الأمم السابقة . ! 2 2 ! علة لفعل قد حذف ، تعويلا على دلالة السياق عليه . أي ، وليقولوا : درست نفعل ما نفعل ، من التصريف المذكور . واللام للعاقبة والصيرورة ، والواو اعتراضية . أي : لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقوله تعالى : ! 2 2 ! وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ، ليصير لهم قرة عين ، ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة . وكذلك الآيات ، صرفت للتبيين ، ولم تصرف ليقولوا : درست . ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين ، فشبه به . وقوله تعالى : ! 2 2 ! أي : القرآن ، وإن لم يجر له ذكر ، لكونه معلوما ، أو الآيات ، لأنها في معنى القرآن . ! 2 2 ! الحق من الباطل . ومجمل معنى الآية : ومثل هذا التنويع البديع في عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا في القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يجدوا الاختلاق والكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس ، لا من ا ، ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق ، من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ، ويذعنون له . اتبع أيها النبي ما جاءك به الوحي من ا ، مالك أمرك ، ومدبر شؤونك ، إنه وحده الإله

المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين ، ولا تحتفل بهم ، وبأقاويلهم الباطلة . قوله تعالى : ! 2 2 ! أي : إيمانهم فالمفعول به محذوف ! 2 ! 2 بين أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة ا ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فأشركوا بمشيئته . قوله تعالى : ! 2 2 ! أي : رقيبا مهيمنا من قبلنا مراعيا لأعمالهم مأخوذا بإجرامهم وكذلك قوله : ! 2 2 ! من جهتهم ولا بمسلط تقوم بتدبير أمورهم وترعى مصالحهم . والمعنى الإجمالي للآية : ولو أراد ا أن يعبدوه وحده ، لقهرهم على ذلك ، بقوته وقدرته ، لكنه تركهم لاختيارهم . وما جعلناك رقيبا ، تحصي عليهم أعمالهم ، وما أنت بمكلف ، بأن تقوم عنهم ، بتدبير شؤونهم ، وإصلاح أمرهم . ! 2 ! 2 ينهى ا المؤمنين ، عن أمر كان جائزا ، بل مشروعا في الأصل ، وهو سب آلهة المشركين ، التي اتخذت أوثانا وآلهة